٤ ـ سكان أعالى النيل

بقلم رشوان احمد صادق

وكان أهم ما يميز الملك والمدير أن كلا منهما قادر على التكهن في الفصل في الخصومات oracles وكذلك في الأمور القانونية ، فكل الأمور التي تؤدي الى المنازعات مثل القتل والموت كل هذه كان يفصل فيها بواسطة التنجيم والتنبؤ ، وكانت هذه مصدر ربح عظيم للأسرة المالكة

والملك هو مصدر القانون وهو مطلق التصرف ، فله الحق أن يقتل من شاء حسب إرادته ، فسلطته استبدادية . وجماعة الأزندى يكونون وحدة سياسية ، ومركز الفرد وسلامته واستغلاله لموارد بلاده الاقتصادية كل ذلك متوقف على قيامه بالواجب عليه نحو النائب والمدير والملك

وكل قبيلة تعرف باسم عميدها ، فمتى مات أو قتل تشتت أفرادها . والقبائل هنا ليس لها أي صبغة سياسية ولا اقتصادية ولكنها ذات صبغة دينية . فنظام القبائل مؤسس على النظام الطوطمي ، إذ لكل قبيلة حيوان تقدسه وتحرم على أفرادها أكل لحمه ، إذ يعتقدون أن أرواح موتاهم تنتقل إليه . والرجل واخوته وأنجالهم يسكنون سوياً على ضفة مجرى مائى ، ويعملون معاً فى الزراعة والصيد وغير ذلك من شؤون الحياة . ويهتمون بشؤون كل فرد منهم كما يشتركون فى الدفاع عن أى فرد يصيبه أذى منهم ؛ وأكبرهم سناً يقوم بالقاء الوعظ والأرشاد على الصغار

أما من حيث الزواج ، فاذا أراد الرجل أن يتزوج فعليه أن يعطى أقارب زوجته من عشرين الى أربعين حربة ، وهذه الحراب لا تشترى بماله الخاص ، بل يهديها إليه والده وأعمامه ، وهذا قد أدى الى توثيق صلة الابن بالأب والأعمام

ومن أهم المظاهر الاجتماعية الشائعة بين الأزندى ، والتى يهتم بها كل فرد فى مجتمع الأزندى سواء فى ذلك الملك والمملوك هى مسألة الحسد ، تلك المسألة التى تلعب دوراً هاماً فى حياة الأزندى الاجتماعية ، فهم يعتقدون أن أناساً كثيرين يحملون فى معدتهم الحسد ، وهذا الداء ينتقل من شخص إلى آخر بواسطة الوراثة ، فالرجل الحسود أبناؤه الذكور حسودون ، وأما بناته فلسن كذلك ؛ والمرأة الحسود بناتها حاسدات وأبناؤها بعكس ذلك ؛ وكانوا يشقون بطون موتاهم لمعرفة ما إذا كانوا حسدة أم لا

وفى اعتقاد الأزندى أن السبب فى سوء الحظ هو الحسد ، فالمرض والموت وفشل الصيد وقلة المحصول كل ذلك سببه الحسد ، ولذلك عند حدوث شىء من هذا القبيل يبحثون عن الحاسد الذى سبب المرض أو غيره ، وبعد معرفته يخبرون الرئيس عنه وهذا يستدعيه إليه ويأمره أن يكف حسده وأذاه عنهم

والطريقة التى يستعملها الأزندى لمعرفة الحاسد هى طريقة التكهن أو التنجيم oracle . وأهم طريقة يستعملونها للتكهن هى الطريقة التى يسميها الأستاذ بريتشارد (بنج Benge) والتى يسميها الأستاذ سلجمان Poison - wood ordeal . وهذه تتلخص فيما يأتى : يحضرون بعض أنواع السم ويعطونه لدجاجة ويسألونها عند إعطائها هذه المادة عن الرجل الذى يشتبهون فى أنه هو الحاسد ، هل هو متهم أو برىء ؟ فان ماتت الدجاجة التى أكلت هذه المادة السامة فمعنى ذلك أن الرجل متهم ، وأنه هو الحاسد ، وأما اذا لم تمت فان الرجل برىء . فان أعيدت العملية مرات وكانت النتيجة ثابتة كان ذلك زيادة فى التأكيد ، فاذا مات رجل فان امرته تبحث عن الحاسد الذى كان سبب موته فان عرفوه بطريقة التكهن السابقة الذكر فانهم يقتلونه أو يدفع

متوقف على اقبال المصريين على عاداتهم الأصلية ، أما التقليد الأعمى والاتجاه شطر أوربا وترك الثقافة والتراث القومى جانباً فصفات يجب التخلى عنها

وليت الأمر وقف عند الحد الذى شرحته ، بل إن آمالى انهارت دفعة واحدة بمجرد أن زرت الأزهر وتفقدت الأروقة التى كثيراً ما قرأت عنها فى شبابى وتخيلتها فى أحلامى ، . . . فقاعد التدريس لاتزال كما كانت منذ ألف سنة ، وبرامج التعليم ناقصة وغير مستوفاة لشروط الثقافة الحق ؛ ولم أر فى الأزهر سوى خلية للحكمة وبث التعاليم الاسلامية وقشور من العلوم الحديثة ؛ أما المعاهد الدينية فهى نماذج مصغرة لجامعاتنا إذ أن هذا النوع من التعليم يقود الطلاب فى سبيل البحث والاستقصاء والتعلم

(يتبع) عبد الكريم جرمانوس

غرامة ، وهذه الغرامة تقدر بامرأة وعشرين حربة

وإذا قتل رجل فانه يحنط ، والمدير مسئول عن البحث عن الحاسد الذى تسبب فى قتله وذلك بواسطة التكهن (Oracle) ولا يقوم بهذا العمل غيره

وأما فى الأحوال الأخرى التى تدل على سوء الحظ من مرض وغيره كما سبق شرحه فانهم يقومون بالبحث لمعرفة الحاسد بواسطة هذا النوع من التكهن ، فان عرف فانهم يخبرون النائب عنه حيث يستدعيه ويأمره بأن يكف أذاه وحسده عنهم

وهكذا يفصل فى كل الأمور القانونية والمشاكل الاجتماعية بواسطة التكهن ، والحكم الأوروبى الآن يرفض الاعتراف بمسألة التكهن الذى شرحناه على الوجه السالف . ولكن الأزندى تمكن من إيجاد مفر من تشديدات الأحكام الجديدة فلجأ إلى السحر ، فاذا مات شخص فان ذويه يحضرون ساحرا ليقوم بعمل السحر والتعاويذ اللازمة لهلاك من تسبب فى موته بواسطة الحسد . ثم ينتظرون أياما وأشهرا ليروا النتيجة ، فاذا سمعوا بموت أحد من جيرانهم أو من أعدائهم أو ممن يشتبهون فيهم فانهم يقومون بعمل التكهن بواسطة الدجاجة كما سبق ذكره ويسألونها فيما إذا كان هذا الشخص الذى مات هو الحاسد الذى أهلكه السحر أم لا

وهذه طريقة أخرى للتخلص من النظام الأوربى الجديد للانتقام من الشخص الذى يتخذ الحسد حرفة له

وللأزندى اهتمام كبير بزراعة الأرض بعكس (الزنوج النيليين أو الحامى النيلى الكثيرى الاهتمام بتربية الماشية) . فهم يهتمون بتنسيق حدائقهم ومزارعهم بشكل يستحق الاعجاب . وتبدأ الزراعة فى شهر مارس إذ يعدون الأرض فيزيلون بقايا الحشائش ويقومون ببعض الأعمال لتطهير الأرض . وأهم المحاصيل التى تزرع عندهم هى :

١) الذرة — تزرع فى مارس وتحصد فى يوليو

٢) الحبوب الزيتية
- Grounb Nut — تزرع فى ابريل ومايو
- Grounb dean — وتحصد فى أغسطس
- Pea-Nut — وسبتمبر

٣) الذرة الرفيعة Millet (العويجة) تزرع فى يوليو وتحصد فى اكتوبر ونوفمبر وديسمبر

وعندهم نوعان من الدورة الزراعية : (١) الدورة الخماسية (٢) الدورة السنوية والأحادية . فأما الدورة الخماسية ، وتكرر لمدة خمس سنوات ، فهى كما يأتى :

السنة الأولى تزرع ذرة رفيعة وحبوبا زيتية
« الثانية « « « «
« الثالثة « « « «
« الرابعة « حبوبا زيتية فقط
« الخامسة تترك الأرض للراحة (شراق)

وأما الدورة السنوية أو الأحادية فهى فى سنة واحدة حيث يزرع محصولان فى سنة واحدة : الذرة والبطاطة

ويلاحظ أن البطاطة تزرع كسياج وتترك فى الأرض بعض الأحيان .

والدورة الخماسية هى الدورة التى يتبعها الأزندى فى حديقة منزله أيضاً ، كما أن الذرة تزرع كسياج يحيط بمنزل الأزندى ويقوم مقام السياج الحديدى حول حدائقنا

« صورة تخطيطية لمنزل الأزندى »

والأستاذ سلجمان يقول إن الأزندى يعتقدون فى مخلوق عظيم يسمونه (مبول) ولكنهم لا يدعونه إلا عند الجفاف والقحط

ويقول إنهم يعتقدون أن الانسان بعد موته تخرج منه روحان : إحداهما تذهب إلى الحيوان الذى تقدسه القبيلة (الطوطم

والروح الأخرى تذهب إلى القبر فتبقى فيه إلى حين ، ثم بعد ذلك تغادره إلى رأس مجرى مائى حيث تبقى مع أرواح أجدادها

وهم الآن يقومون بعملية الختان

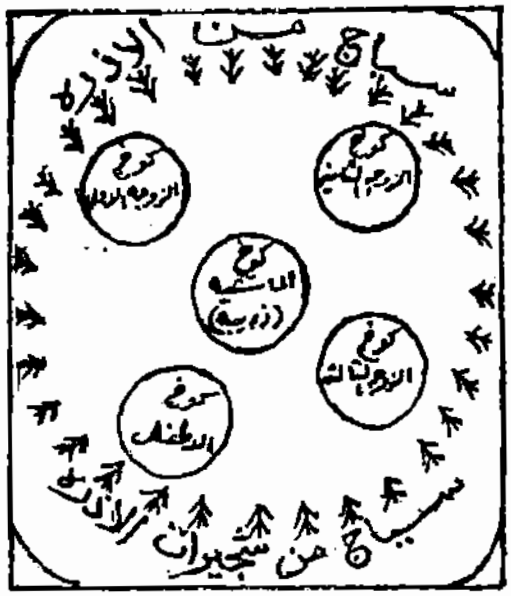

« صورة تخطيطية لمنزل الزنوج النيليين »

الفروق فى الحياة الاجتماعية

لكل من الزنوج النيليين وأصحاب الرؤوس المتوسطة

الزنوج النيليون

رعاة

الماشية عماد الحياة

يزرعون الحبوب

ليس عندهم ضحايا بشرية

لا يأكلون لحوم البشر

الرجال عراة الأجسام وأحياناً يلبسون جلودا على الكتف

يزينون الشعر بأشكال مختلفة

النساء يرتدين نصف جلباب (ملكوف petticont) من الجلد يغطى النصف الأسفل من الجسم من الوسط حتى الركبة ويلبسن أساور من العاج فى أعلى العضد

بعضهم يخلع أسنانه الأمامية مثل النوير

ليس عندهم رؤساء للحكومات وهم ديمقراطيون يحترمون السحرة والمشعوذين ويأخذون رأيهم فى بعض الأمور والرابطة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية مبنية على القرابة والجنسية

أصحاب الرؤوس المتوسطة (الأرندا)

زراع وربون الدجاج

ليس عندهم ماشية

الزراعة هى أهم ما يحترفه السكان وكذلك الصيد

عندهم تضحيات بشرية / كذلك أكل لحم البشر } قلت الآن بعد الحكم الأوربى

الرجال يرتدون جلد الأسد أو قميصا من الخيش أو الخوص أو سراويل . يضفرون شعورهم من منبت الشعر إلى الكتف ، ويلبسون قلنسوات من الخوص محلاة بريش الديكة

النساء يستترن بشبكة من ورق الشجر من الأمام والخلف تربط بحزام حول الوسط وأحيانا يرتدين (مريلة) ولا يستعملن الأساور المصنوعة من العاج إلا نادرا

لا يخلعون أسنانهم

حكومتهم منظمة لها صبغة سياسية ورؤساء سياسيون ، والرابطة العائلية قوية بينهم

رشوان احمد صادق

ظهر الجزء الثالث من

الشوقيات

للمحامى الذكر أحمد شوقى بك

أمير الشعراء

يطلب من

مكتبة النهضة المصرية

١٥ شارع الدايخ بالقاهرة — تليفون ٥١٣٩٤

ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه غير أجرة البريد ٨ قروش صاغ